*مدى اتصال البلاغة بالشعر*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ *أيمن محمد أبو بكر*

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*ayman.abobakr@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في مدى اتصال البلاغة بالشعر**

**الكلمات المفتاحية : الصورة الأدبية ، علم البلاغة ، إبداع الشعراء**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن مدى اتصال البلاغة بالشعر**

1. **عنوان المقال**

**نتناول علاقة البلاغة أولًا بالشعر، وأهمية الشعر في فهم كلام الله تعالى، وكيف كان الشعر مع النحو أصلين وعاملين أساسيين في نشأة علم البلاغة، وتأسيس نظرية النظم لدى عبد القاهر، وكيف تمثلت عناصر الصورة الأدبية إلى جانب النظم في التخييل الذي هو نتاج إبداع الشعراء، وما جادت به قرائحهم.**

**مدى اتصال البلاغة بالشعر.**

**تحدثنا في آخر لقاء ضمنا عن السجع، وعرفنا على سبيل المثال كيف بُني هذا الضرب من فنون البديع، كيف أسس على الكلام المقفى، وكيف اختصت بعض أنواعه من نحو التشطير والتصريع، واقتصرت على الشعر خاصة ناهيك عن الشواهد الشعرية التي كانت محل استشاهداتنا في كل درس على مدار جميع دروسنا الماضية، الأمر الذي يعني أن أساس علم البلاغة إنما نشأ ليقف من خلال بليغ الكلام الذي يأتي على رأسه كلام ربنا، وسنة نبينا وما وصلنا من تراث شعرائنا، وأدبائنا على خصائص التراكيب في كل ما ذكرنا، وعلى طرق أدائها، وما يعتريهما من محسنات البديع، ومن ذا الذي يجرؤ على أن يفسر كلام الله من قبل، وهو من قبل ومن بعد كلام عربي ويقتحم هذا المجال دون أن تكون لديه دراية بالشعر، ودون أن تكون لديه أداة فهمه المتمثلة في معرفة أشعار العرب ومقاصدهم من كلامهم وأدب لغتهم.**

**سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة كالمعرفة الحاصلة للعرب، الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للمولدين الذين شافهوا بقية العرب، ومارسوهم، والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونها.**

**إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقًا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربيٍّ بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان، ولقد أصاب أبو الوليد ابن رشد المحذ فيما نقله صاحب: (التحرير والتنوير)، فقد ذكر في جواب له عمن قال: إنه لا يحتاج إلى لسان العرب ما نصه: هذا جاهل فلينصرف عن ذلك، وليتب منه، فإنه لا يصح شيئًا من أمور الديانة والإسلام إلا بلسان العرب يقول الله تعالى: {ﮣ ﮤ ﮥ} [الشعراء: 195]، إلا أن يرى أنه قال ذلك لخبث في دينه، فيؤدبه الإمام على قوله ذلك بحسب ما يرى، فقد قال عظيمًا.**

**يقول الطاهر في شرحه لما نقلناه عنه منذ قليل، وبعد كلامه المستفيض عن أهمية تعلم البيان والمعاني بالذات في فهم كلام الله تعالى، وأما استعمال العرب فهو التملي من أساليبهم في خطبهم، وأشعارهم، وأمثالهم، وعوائدهم، ومحادثاتهم؛ ليحصل بذلك لممارسة المولد ذوق يقوم عنده مقام السليقة والسجية عند العربي القح، والذوق كيفية للنفس بها تُدرك الخواص والمزايا التي للكلام البليغ.**

**قال الجد الوزير: وهي ناشئة عن تتبع استعمال البلغاء، فتحصل بغير العربي بتتبعه موارد الاستعمال، والتدبر في الكلام المقطوع ببلوغه غاية البلاغة، فدعوى معرفة الذوق لا تُقبل إلا من الخاصة، وهو يضعف ويقوى بحسب مسافنة ذلك التدبر، ولله درُّه في قوله: المقطوع ببلوغه غاية البلاغة، المشير إلى وجوب اختيار الممارس لما يطالعه من كلامهم، وهو الكلام المشهود له بالبلاغة بين أهل هذا الشأن نحو: (المعلقات)، و(الحماسة)، ونحو (نهج البلاغة)، و(مقامات الحريري)، و(رسائل بديع الزمان).**

**ولإيجاد الذوق أو تكميله لم يكن غنًى للمفسر في بعض المواضع من الاستشهاد على المراد في الآية ببيت من الشعر، أو بشيء من كلام العرب؛ لتكميل ما عنده من الذوق عند خفاء المعنى، ولإقناع السامع والمتعلم اللذين لم يكمن لهما الذوق في المشكلة، وهذا شيء وراء قواعد علم العربية، وعلم البلاغة به يحصل انكشاف بعض المعاني واطمئنان النفس لها، وبه يترجح أحد الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن، ألا ترى أنه لو اطلع أحد على تفسير قول الله تعالى: {ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ} [الحجرات: 11]، وعرض لديه احتمال أن يكون عطف قوله: {ﯵ ﯶ} على قوله: {ﯭ} عطف مباين، أو عطف خاص على العام، فاستشهد المفسر في ذلك بقول زهير:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وما أدري وسوف إخال أدري** | **\*** | **أقوم آل حصن أم نساء** |

**كيف تطمئن نفسه لاحتمال عطف المباين دون عطف الخاص على العام، وكذلك إذا رأى تفسير قوله تعالى: {ﭝ ﭞ} [المائدة: 6]، وتردد عنده احتمال أن الباء فيه للتأكيد، أو أنها للتبعيض، أو للآلة، وكانت نفسه غير مطمئنة لاحتمال التأكيد؛ إذ كان مدخول الباء مفعولًا، فإذا استشهد له على ذلك بقول النابغة:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لك الخير إن وارت بك الأرض واحدة** | **\*** | **وأصبح جد الناس يظلع عاثرًا** |

**يظلع: يعني يمشي بعرج.**

**وقول الأعشى:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فكلنا مغرم يهوي بصاحبه** | **\*** | **قاص ودان ومحبول ومحتبل** |

**فرجح عنده احتمال التأكيد، وظهر له أن دخول الباء على المفعول للتأكيد طريقة مسلوكة في الاستعمال، روى أئمة الأدب أن عمر بن الخطاب > قرأ على المنبر قول الله تعالى: {ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ} [النحل: 47]، ثم قال: "ما تقولون فيها؟ أي: في معنى التخوف، فقام شيخ من هُذيل فقال: هذه لغتنا التخوف التنقص، فقال عمر: وهل تعرف العرب ذلك في كلامها؟ قال: نعم، قال أبو كبير الهذلي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **تخوف الرحل منها تانكًا قردًا** | **\*** | **كما تخوف عود النبعة الثفن** |

**التانك هو السنان، وقرد بفتح القاف وكسر الراء كثير القراد، والثفن المبرد أو ما يُنحت به الشيء، فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تضلوا، هو شعر العرب فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم". وعن ابن عباس: "الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم، رجعنا إلى ديوانهم، فالتمسنا معرفة ذلك منه".**

**وكان كثيرًا > ما يُنشد الشعر إذا سُئل عن بعض حروف القرآن، قال القرطبي: سئل ابن عباس عن السنة في قوله تعالى: {ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [البقرة: 255]، فقال: "النعاس"، وأنشد قول زهير:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لا سنة في طول الليل تأخذه** | **\*** | **ولا ينام ولا في أمره سند** |

**وسئل عكرمة ما معنى الزنيم، فقال: هو ولد الزنا وأنشد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **زنيم ليس يُعرف من أبوه** | **\*** | **بغي الأم ذو حسب اللئيم** |

**ويدخل في مادة الاستعمال العربي ما يؤثر عن بعض السلف في فهم معاني بعض الآيات على قوانين استعمالهم، كما روى مالك، في: (الموطأ)، عن عروة بن الزبير قال: "قلت لعائشة وأنا يومئذٍ حديث السن: أرأيتِ قول الله تعالى: {ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ} [البقرة: 158]، فما على الرجل شيء ألا يطوَّف بهما؟ فقالت عائشة: كلا، لو كان كما تقول؛ لكانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما نزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة الطاغية، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله  عن ذلك فأنزل الله: {ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ}".**

**فبينت له ابتداءً طريقة استعمال العرب لو كان المعنى كما وهمه عروة، ثم بينت له مثار شبهته الناشئة عن قوله تعالى: {ﮑ ﮒ ﮓ}، الذي ظاهره رفع الجناح عن الساعي الذي يصدق بالإباحة دون الوجود.**

**وأما الآثار فالمعني بها ما نُقل عن النبي  من بيان المراد من بعض القرآن في مواضع الإشكال والإجمال، وذلك شيءٌ قليل.**

**قال ابن عطية، عن عائشة: ما كان رسول الله  يفسر من القرآن إلا آيات معدودات علمه إيَّاهن جبريل، قال: معناه في مغيبات القرآن وتفسير مجمله مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف، قلت: أوكان تفسيرًا لا توقيف فيه، كما بيَّن  لعدي بن حاتم أن الخيط الأبيض والخيط الأسود، هما سواد الليل وبياض النهار، وقال له: ((إنك لعريض الوسادة))، وفي رواية: ((إنك لعريض القفا)).**

**وما نُقل عن الصحابة الذين شهدوا نزول الوحي من بيان سبب النزول، وناسخ ومنسوخ، وتفسير المبهم، وتوضيح واقعة من كل ما طريقهم فيه الرواية عن الرسول  دون الرأي، وذلك مثل كون المراد من المغضوب عليهم اليهود، ومن الضالين النصارى، ومثل كون المراد من قوله تعالى: {ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ} [المدثر: 11]، الوليد بن المغيرة المخزومي أبا خالد بن الوليد، وكون المراد من قوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ} [مريم: 77]، الآية، العاصي بن وائل السهمي في خصومته بينه وبين خباب بن الأرت، كما في: (صحيح البخاري)، في تفسير سورة المدثر.**

**وأما أخبار العرب فهي من جملة أدبهم أيضًا، يقول الطاهر بن عاشور: وإنما خصصتها بالذكر تنبيهًا لمن يتوهم أن الاشتغال بها من اللفظ، فهي يُستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في سوقها؛ لأن القرآن إنما يذكر القصص والأخبار للموعظة والاعتبار، لا لأن يتحادث بها الناس في الأسمار، فبمعرفة الأخبار يُعرف ما أشارت له الآيات من دقائق المعاني، فنحو قوله تعالى: {ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ} [النحل: 92]، وقوله: {ﭛ ﭜ ﭝ} [البروج: 4]، يتوقف كل ذلك وأمثاله على معرفة أخبارهم عند العرب.**

**والذي نريد أن نصل إليه هنا أن الشعر أصل أصيل، أن أدب العرب أصل أصيل كذلك، قام عليه علم البلاغة.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**